



المعادلة الصعبة في حياة فيتجنشتاين

أحياناً نحمل بعض المفاهيم ما لا تحمله ، و نسعى لتفسير الكون و الإنسان و حالاتهما من خلال هذه المفاهيم و نقوم بلوي عنق جميع الحالات و إخضاعها لهذه المفاهيم ، المشكلة هي إننا نبحث عن الحلول في مفاهيم لا ندركها كالحركة و الزمن و الجواهر و الأعراض و المثل و الذوات و الإرادة و اللغة و غيرها و نبني تفكراً على هذه المفاهيم نضعه في إطار فلسفية و نعتقد قد وجدنا ضاللتنا حتى يقوم آخر بنقد و تفنيد ما بنيناه كما هو الحال مع فيتجنشتاين¹ الذي صبّ هموم الفلسفة و إشكالياتها على اللغة و حملّ اللغة ما لا تتحمله و سعى لحلّ المسائل الفلسفية لغوياً فوق في مسائل أخرى أجبرته إما أن يلتزم الصمت و إما أن يقبل الدخول في لعبة لغوية . أرغمه سكوته أن يترك صفحات بيضاء في كتابه الأول يقول فيها القارئ ما يشاء ، و أرغمه دخول اللعبة اللغوية أن ينقض و يستدبر في كتابه الثاني ما قاله في كتابه الأول .

1- لودفيج فيتجنشتاين - Ludwing Wittgenstein - (1889 - 1951) فيلسوف نمساوي ، بريطاني الجنسية ، يهودي الديانة ، لأفكاره أثر كبير على الفلسفة الوضعية المنطقية و التحليل اللغوي

هل حققت اللغة كل مقاصدها الفلسفية و الأدبية و الأخلاقية و ... ، و هل أستطاعت بجدارة نقل الفكرة من الرأس الى كلمات لتستقر برأس آخر بعد مطالعتها أو الإصغاء إليها؟ عندما تعجز الكلمات من وصف و نقل الأفكار يتوقف الأبداع ، ربما الدليل عدم جدارة اللغة بنقل الفكرة أو إشكالية الفكر في إستيعاب اللغة .

لوحة أو زخرفة فنية يمكنها أن تنتقل عمق إحساس الفنان الذي أبدعها بعيداً عن جميع التعابير اللغوية ، سلوك أخلاقي يمكنه أن يوصف حالات إنسانية تعجز عن وصفها اللغة بكل مقوماتها .

من أهم الإشكاليات التي تأخذ على الفيلسوف لا الفلسفة ، بنظري هي إن الفيلسوف يصب كل هموم الكون في الإنسانية ثم يبحث عن الحلّ في الإنسان . لا تعني هذه الإشكالية خطأ الفيلسوف في تعاطيه مع الفلسفة و إنما تعني عبثية الحلول الفلسفية التي يلجأ إليها الفيلسوف أحياناً ، و هذا هو معنى إستغلال الفلسفة للغة . كثير من أقوال الفلاسفة مختبئة وراء أسئلة لا جواب لها ، في نفس الوقت ليست اللغة بعيدة عن هذه اللعبة فهناك إستغلال لغوي للفلسفة ، و كثير من الأجوبة الفلسفية هي تعابير لغوية لا أكثر .

يلعب المنطق في هذه اللعبة دور الحكم ، دوراً يخضع لقوانين هذه اللعبة و صحة هذا الدور و فعاليته هو ما أتفقنا عليه . إذن المنطق في هذه اللعبة هو مقولة أنفاقية ، لا يمكن وضعه في زمرة العلوم النظرية و لا في زمرة العلوم العملية ، لأن من الصعب إعطاء نسبة من الصحة للعلوم المنطقية و ذلك لعدم وجود مقياس تقاس به صحة القوانين المنطقية. يجب أن لا ينظر للمنطق على أنه قانون عام ، و إنما هو قواعد لغوية وصفية و هو أمر لغوي ذاتي يخضع للمقومات اللغوية الحاكمة ، هو أداة إستنتاج لا أداة نطق . إذا قبلنا الدور الإستنتاجي للمنطق ، السؤال :

نستنتق العلوم بالمنطق ، فبمّ نستنتق المنطق ؟ و ما الفرق بين الأحكام المنطقية و الأحكام في العلوم الأخرى ؟ ينظر فيتجنشتاين للمنطق على أنه حركة ذهنية . خضع المنطق في هذا التعبير الى الديناميكية و هي كذلك لعبة لغوية جديدة ، إذا قبلنا اللغة لعبة يجب الرجوع و إصلاح كل ما قلناه ، و إذا قبلناها ثوابت يجب أن نلتزم الصمت ! وقع فيتجنشتاين في فخ هذه اللعبة التي فتحها هو لنفسه ، فكتب أفكاره في كتابه الأول رسالة **منطقية فلسفية** و قام بنسف هذه الأفكار في كتابه الثاني **بحوث فلسفية** ، ينظر اليوم للكتاب الثاني على أنه نقد لكتابه الأول و بنظري يجب أن لا ينظر الى هذا التناقض على أنه نقد ، و إنما نتائج لعبة .

جميع النزعات و التناقضات الفكرية عند الفلاسفة تضعهم في مفترق طرق ، يصعب على من يطالعهم تحديد موقعهم و موقفهم ، و لا يستثنى فيتجنشتاين من هذه التناقضات لكن ما يميزه عن غيره هو تقنيه لهذه التناقضات بوضع نفسه داخل لعبة (لغوية) يدخل فيها متى يشاء و يخرج منها متى يشاء فكان ينظر للنتائج بنفسه و لا حاجة له الى من يشير إليه ، لأنه أدرك الفرق بين القول و الإشارة ، فهو يبدأ من المنطق ثم ينحاز للتحليل اللغوي ثم يستدبر المنطق ، يمجّد الفلسفة في كتابه الأول و ينتقدها في كتابه الثاني واصفاً إياها بالتبوير المهزوم لتصبح فعالية تكمن وظيفتها في نقد اللغة .

عندما تصبح اللغة حدود الكون إذن نحن في وعاء لغوي حدوده اللغة ، و حدود اللغة السكوت . و عندما تصبح الفلسفة أداة لنقد اللغة يجب أن تدخل الفلسفة هذه اللعبة ، دخول الفلسفة الى لعبة اللغة هو إرغامها على السكوت في ما لا تقدر عليه . هل الفلسفة قادرة على الصمت؟! خارج إطار اللغة ، لا . و داخل الأطر اللغوية ، نعم . هذه هي إشكالية الفلسفة في ظل المعطيات اللغوية ، لذلك ينظر فيتجنشتاين للقضايا الميتافيزيقية على إنها عبارات لا معنى لها .

عندما يصف برتراند راسل الرياضيات على إنها نتائج منطقية ، يضعها في حدود المنطق ليأسس لها أسس منطقية ، بينما لا تقف الرياضيات عند فيتجنشتاين عند حدّ من الحدود فهو بقدر ما ينحاز للمنطق هو كذلك يستديره بوصفه صعوبة الفصل بين اللغة و الحساب ، ترجع هذه الصعوبة الى تزامن المنظومة اللغوية و الحسابية ، صدق القضايا الرياضية ينطبق على النظام الذي تخضع له القضية . في ظلّ المعطيات اللغوية الإشكالية التي تأخذ على فيتجنشتاين هي إن صحة القضايا الرياضية البحتة تستند على التجربة ، ما مدى صحة هذه القضايا قبل إخضاعها للعلوم التجريبية كالفيزياء و الفلك ؟

جلال الحاج عبد

2009-7-20



موقع جلال الحاج عبد

www.jalalalhajabed.com

البريد الإلكتروني :

jalal.alhajabed@hotmail.com

jalal.alhajabed@yahoo.com